

# ارضت الملاحم

بمقد بلتماسد المتتاري

- الى الاستاذ مارون عبود -

ما لبثت ان اصبحت نقطة تحول في تاريخ الانسان .. ومثل ذلك ينطبق تماماً على شاهنامه الفردوسي التي سجلت مصارع الفرس ومحيطهم .. ثم طلع العصر الحديث . فكانت اليقظة العربية وكان الاندفاع التحريري ، وكان الشعور بالقومية ينمو في ظلال الحركات المختلفة ، وكانت نكبة فلسطين الشهيدة ... وهذه جميعاً حملت الشعراء العرب في مختلف الاقطار على ان يطلوا من زوايا حاضرم على ادب الملحمة ، الذي تحدث عنه ( الآداب ) ضمن ما تطرقه من مواضيع حيوية . والذي يكاد يخلو منه الادب العربي على مرونته واتساع آفاقه .

وبعد . فان هذه اشارات خاطفة او عرض سريع ، يمينا من ورائه إثارة سؤال وهو : أيكون التاريخ الجزائري قديماً وحديثاً خلواً من الثورات أو الحروب العنيفة الحارقة التي توفرت

التاريخ قدر مشترك يحتفظ بجميع الاحداث والتطورات الانسانية منذ فجر الحياة ، ويسجل جميع الخصائص التي ميزت هذه الحياة ، وعدلت سلوكها بالنظر الى جذورها النامية الخاضعة لتأثير النشوء والارتقاء . بيد ان تلك الاحداث والتطورات ، او بتعبير علمي المادة الخام التي يتألف منها التاريخ البشري ، لها مميزات اعتبارية تجعل الاجزاء المؤلفة لتلك الماهية الكلية ذات مقاييس مختلفة باعتبار الزمان والمكان والطبائع والتقاليد .. ومن هذه النظرية اصبحت تاريخ كل امة متميزاً عما عداه بألوان وخصائص من حيث النظر الى تلك الاجزاء المكونة للحقيقة الكلية المشار اليها . فتاريخ الامة اليونانية القديم مثلاً ، ذوصبغة بيئية حين ينضاف الى تاريخ الامة العربية في جاهليتها . وهذا له ذاتية خاصة لاتتوفر لسواه من حيث اضافته الى تاريخ الامة الاسلامية بعدد .. ثم ان الثورات الشعبية العنيفة والاحداث الاجتماعية العظمى ، نتيجة لما ينطوي عليه روح الامة من سمو ونضج . وهي ابرز المعالم والالوان اذا قيست بنوع التفكير ومظهر الحياة .. ومن ثمة امكنا ان نقول : ان الحداث العظيم هو البرهان القوي على ما يضطرب في كيان الامة من مطالب وغايات انسانية ، تسعى جهدها لتحقيقها . وهو الذي يعطينا كمية تلك المطالب والغايات ووجوه الاهمية فيها . ولعل المتتبع لحلقات التاريخ بعناية واخلاص يظفر بسلسلة ملتحمة الاجزاء من الثورات الكبرى كانت جميعها مصدر الهام للمفكرين نضجت في ظله القرائح والاقلام فخلست للأجيال الطالعة تاريخياً من البطولات حافلاً باناشيد العظيمة الثائرة في اندفاع وقوة .. فلقد كانت حرب طراودة باعثة لهوميروس على خلق الألياذة ، وكان هوميروس ذاته توطئة لظهور شخصية عبقرية خالدة هي شخصية سقراط العظيم . وكانت الحروب العربية في الجاهلية الاولى موحية بأنشاء ملحمة عنتره المشهورة التي تعتبر اول الياذة عربية وعاما التاريخ . بل كان ذلك الصراع العنيف وتلك الحروب الطاحنة ، ارهاصات للنبوة التي

اقصدوا

## مكتبة الامل

لصاحبها توفيق محمود حلمي

بغداد - شارع المتنبي

تجدون فيها أنفس الكتب العلمية والادبية والاجتماعية والثقافية والقانونية . وجميع القواميس المختلفة والمصاحف المختلفة وفيها أهم مراجع الكتب القديمة ، وجميع لوازم القوطاسية على اختلاف انواعها وانواع المجلات العربية والانكليزية وفيها بعض منشورات دار العلم للملايين

فيها جميع شرائط الملحمة وخصائصها؟ وإذا كان الجواب إيجابياً - وهو كذلك لا محالة - فما هي البواعث الأولى التي جعلت شعراء الجزائر يهملون هذا الجانب العظيم من تاريخهم القومي؟ هذا هو المشكل الذي نثيره. وهو الذي نحاول الإجابة عنه بشيء من السرعة. تاركين الاستقصاء والتأني إلى من يهيمه البحث في الموضوع ..

ويمكننا تفريع الجواب إلى قضيتين: قضية تاريخنا وخصائصه الخالدة، وقضية النهضة الشعرية وآثارها.

فإن تاريخنا على غموضه حتى الآن، كانت جميع فتراته حافلة بالحوادث الجسام مفعمة بألوان الصراع والبطولة. ومن ثم نستطيع أن نقول: إن أرض الجزائر أرض ملاحم نتيجة لمكانتها الجغرافية، ومشاركتها الفعالة في تثبيت أسس الحضارة الإنسانية منذ العصور الأولى، وقلمها يوجد شبر من أرضها لم تسقه الأقدار دماً، ولم يكن مسيرحاً لحادثة تاريخية عظيمة في هذه الناحية غنية بمواد الملحمة. وقد نبأنا الزمان بأنها من أضخم الأمم حضارة لو انصفها التاريخ، وأقواها على العدو شكيمة في ميدان الحروب. فكيف أهملت معالم العظمة في ذلك التاريخ والاستعمار بالمرصاد يتلمس الثغرات للطنن في تراثنا ومقوماتنا التي هي رأس مالنا من مجد العروبة؟ إن ماضي الجزائر مشحون بالانقلابات الخطيرة. ومن اعلقها بالأذهان (حادثة الكاهنة) و (مقتل عقبة) و (نكبة الأمير) و (واقعة شهرماني) وغير هذه وتلك من الانفعالات الشعبية التي كان لها تأثير عظيم في الاتجاهات والعقليات. وهي الزاوية الكبرى التي تطل منها الأجيال على ما للامة من اندفاع وحركة. ومن المجازفة الظاهرة عدت شعراء أمير عبد القادر الحربي شعر ملاحم، فهو رغم ما فيه من انطباعات ورموز وتسلسل خال من عناصر الملحمة الأساسية.. وقد كدنا نسمي قصيدة (ذكرى ٨ ماي) للشاعر الجديد أحمد معاش الباتني ملحمة جزائرية لولا اختلال بعض الشرائط الاصلية التي يجب توافرها لتستقيم الملحمة على سوقها.

وإذا كان التاريخ الجزائري بهذه المنزلة من حيث توافر عناصر الملاحم فيه، فمن المسؤول عن إهماله حتى أصبحت خطوطه

(١) لا تزيد بكلمة (غموض) في هذا الصدد ما يريده منها الاستعمار من إذابة الروح التاريخية، وإحماه ذاتيتها، بل نقصد إلى أن هذا التاريخ لم تكشف - بعد - أسرارها كشفاً يجعلنا نقف على معالمة المضنية، وندرس خصائصه الخالدة في جميع الصور.

باهتة لا ظل فيها ولا ألوان؟ الحق إن تحرير الشق الثاني من الجواب الذي نحاوله محرج، وليس وجه الاحراج في ذلك لما يترتب عليه من الاقرار بوجود شعراء يمثلوننا في آلامنا وآمالنا أو عدم وجودهم، فإن هذا في الحقيقة نتيجة لحكم الامة والتاريخ والاجيال، بل لما فيه من تحديد لدعوة عريضة طالما هتف لها شعراؤنا، وداسوا لبلوغ اهدافها جماجم الموتى ورقاب الأحياء. ولعل هذا التحديد نفسه يستحفظهم للوثوب، ويضيء لهم الدروب المظلمة التي يروقههم الرقص في افيانها، ويحملهم على ترك الاجترار وحفر القبور.. وما دمت قد لمحت فلا بد أن أقول: إن شعرا المعاصر لا يمثلنا معها تواضع وحمل الفانوس السحري إلى المغاوير، فأبرز ألوانه المناسبة والحكاية وجر الذبول. و«الجيد» منه لا يعدو حدود المعاني المكرورة والألفاظ الجاهلية، وإن شعرانا بعزل عن الامة ومقتضيات الإنسانية، وليس من تحمل الامانة التاريخية، ونهض برسالة الشعر على وجهها الصحيح، وكان لأمتة القابعة في الظلمة مكان هو ميروس في اليونان، وشعلةً لنهضة جديدة قوية تتجاوز مع الروح العربية الحديثة، وتواكب تيارات العصر الجديد ..

بلقام سعد الله القهاري

تونس

من رابطة القلم الجديد

## « وكلاء الآداب »

سوريا ولبنان: شركة فرج الله للمطبوعات

العراق: وكالة فرج الله للمطبوعات: محمود حلمي

البحرين: المكتبة الوطنية لصاحبها ابراهيم محمد عبيد

الكويت: مكتبة الطلبة لصاحبها عبد الرحمن الخرجي

تونس: وكيل شركة فرج الله للمطبوعات: الهادي

ابن عبدالغني، نهج الكتبية رقم ١٠

طنجة: مكتبة الصاحب. لصاحبها محمد العمري

ليبيا: المكتبة الوطنية - بنغازي

مصر: دار الكشاف ٣٧ شارع عبدالعزيز بالقاهرة

اغواطوم: السيد حلمي القباني

باريس: المكتبة الشرقية

15 Rue Monsieur - le - Prince - Paris